البعد الرمزي للمرأة كمدخل للتعبير عن الهوية الوطنية في فن التصوير المعاصر

إعـــداد:

د. غروب عوض الحربي

معلمة تربية فنية تخصص رسم وتصوير
وزارة التربية والتعليم بدولة الكويت

البعد الرمزي للمرأة كمدخل للتعبير عن الهوية الوطنية في فن التصوير المعاصر

د. غروب عوض الحربي

معلمة تربية فنية تخصص رسم وتصوير
وزارة التربية والتعليم بدولة الكويت

• الملخص:

إنه بمطلع القرن العشرين بفكره وفلسفته ورؤيته المختلفة لشكل الفن، أصبح الفنان دائم البحث وراء للتعبير عن ما هو موجود في الواقع بأساليب مختلفة، واسقاط فكره وفلسفته في صورة أشكال ورموز يمكن إدراكها وتفسيرها بالشعور البشري، حيث تناول في أعماله رموزا متنوعة يبتكرها مستعينا بالخطوط والألوان، فألهمت أنامل الفنانين لإنتاج أعمال نقلت صور الواقع وعكست موضوعات اجتماعية وثقافية وفكرية مختلفة للتأكيد على الهوية الوطنية، حيث يمكن للرمز التعبير عن التراث الحضاري ونقله من جيل إلى آخر، وهو عنصر هام من عناصر التشكيل الفني لذا ظهرت المرأة في الفن المعاصر كرمز هام للتعبير عن معاني متعددة عند معظم الفنانين بعدة أساليب وأشكال رمزية، وقد لاحظت أن معظم الفنانين تناولوا المرأة كرمز في أعمالهم، عبروا عنها كمدلول رمزي يحمل العديد من الأبعاد الفكرية والثقافية للمجتمع، مما دفعها نحو محاولة الإفادة من تلك الأبعاد الرمزية للمرأة للتعبير عن الهوية الوطنية في فن التصوير المعاصر.

الكلمات المفتاحية : البعد الرمزي للمرأة – الهوية الوطنية – فن التصوير المعاصر .

The Symbolic Dimension of Women as an Entry Point for the Expression of National Identity in Art of Contemporary Painting

Dr ghrob Awad Al-Harbi

Abstract:

At the beginning of the twentieth century, with different ideas, philosophy and vision of the form of art, the artist became constantly searching for what is in reality in different ways, and put his thought and philosophy in the form of forms and symbols that can be perceived and interpreted through the human feeling, as he deals in his works with the different symbols that He creates them using lines and colors, and works that convey images of reality and reflect social, cultural and intellectual diversity. Topics to emphasize the national identity, and transmit it from one generation to the next, which is an important element in the artistic formation, so women appeared in contemporary art as an important symbol for expressing meanings, which prompted the attempt to take advantage of these symbolic dimensions of women to express the national identity in the art of contemporary photography.

Key words : The Symbolic Dimension of Women - National Identity - Art of Contemporary Painting

• مقدمة:

إن الفنان يبحث باستمرار عن لغة رمزية فنية خاصة به في عالمه الإبداعي، والتي استوحاها بخياله أو فكره أو حواسه، وقد استطاع عبر مختلف العصور أن يبتكر رموزه الخاصة تبعا لذات الفنان الابتكارية، وقدرته في

امتلاك أدواته ومفرداته الرمزية، والمعبرة عن فكره وواقعه، حيث أحس الفنان بما يحيط به من كائنات وشتى مظاهر الحياة، وعبر عنها تبعا لانفعالاته وعقيدته تعبيرا فنيا، "والتعبير الفني بصفة عامة وسيلة من وسائل الرمز عند الإنسان، بل لعل الرموز الفنية من أبلغ الرموز دلالة على نفسية الفنان، وعلى حضارته، فاللغة والعلم والفن والأساطير كلها رموز تعبر عن حقيقة الفنان وعن ذاتيته، وبذلك يعد الفن استجابة مباشرة للعوامل الفكرية والاجتماعية والتاريخية لأي مجتمع، وهو كذلك انعكاس للظروف البيئية والجغرافية للمكان الذي يوجد فيه الفنان لكي يعبر عن فنه بصفة مطلقة"(١).

وقد قام بعض الفنانين بمحاولات خاصة بهم لإيجاد رموزهم بفكر جديد مختلف ورؤية فنية مبتكرة غيرت مفهوم العمل الفني، وعملت على البعد عن الواقع وتمثيلة بإيحاءات ورموز خاصة، حيث تغيرت أساليب وتقنيات الأداء الفني عما سبق، حيث أصبحت الفكرة هي العامل المؤثر والأقوى في العمل الفني أكثر من صورة الواقع كما هي، مما فتح للفنان التشكيلي الحرية في التعبير الفني حول مختلف الموضوعات الإنسانية والاجتماعية، وهنا تجد الباحثة بأن مفهوم الإبداع يأتي من قدرة الفنان على ابتكار رموزه الخاصة، بحيث يعيد صياغة الأفكار والموضوعات المتعددة مستعينا بالترميز الفني ومعتمدا على الخيال لتطوير الفكرة.

ومن خلال إطلاع الباحثة فقد لاحظت أن معظم الفنانين تناولوا المرأة كرمز تعبيري من خلال أعمالهم الفنية للإيحاء بموضوعات متنوعة، ولذا أصبح " الفنان يملك رموزا خاصا يحقق من خلالها رؤية إبداعية خاصة تلعب الرمزية فيها دورا هاما وأساسيا وأن العمل الفني الفريد والخلاق هو الذي يظهر فيه طابع الفنان الخاص والذي نتكشف من خلاله مدى خصوبة مخيلته والتي يتوقف عليها قوة إثارة خيال الجمهور المشاهد لعمله، ومع ذلك فإن خصوصية الرمزية لا يمكن أن تكون حقيقة كاملة وإلا عجز المجتمع على فهمها والتعامل معها، وهذا ما يعني أيضا حقيقة كون الفن أداة من أدوات الاتصال والتي تعني بتوصيل فكر الفنان (المرسل) إلى الجمهور الملقي (المستقبل) حتى يتم إدراك بعض رؤى الفنان وقبولها والاعتراف بها وحتى يتم إدراك بعض رؤى الفنان وقبولها والاعتراف بها وحتى يكون أيضا لهذه الرؤية ردود فعل ذهنية وعاطفية من خلال قالب جمالي يبدعه الفنان ويوجهه نحو مجتمعه"(٢)، والتأكيد على الهوية والخصوصية عبر إنتاجه الفني من خلال تلك الرموز، فالهوية التي تجمع ما بين أفراد الأمة والتي لها تاريخ عميق وماضي وثقافة مرتبطة جذورها بشكل أساسي بالأرض التي ورثناها عن الآباء والأجداد، لذا أخذ الفنان العربي يبحث برؤية تشكيلية عربية معاصرة تمتلك جذورا تمتد في البيئة المحلية، بالإضافة إلى امتلاكها شخصية متفردة تتلاءم مع طبيعة مجتمعه وتركيبته الثقافية والمعنوية والروحية، وقد ورد في كتاب تاريخ الرسم أن " من خلال بحث جاد ودؤوب من أجل

امتلاك أدوات تشكيلية وحلول بصرية، ليكون الفنان قادراً على طرح رؤيته الفنية وتقديم لوحة ذات سمة شرقية تتوافر فيها المعادلة الفنية التي تجمع بين التراث والتجديد"(٧).

إننا نكتشف بالتحليل الجمالي للعديد من الأعمال الفنية على حقائق عن الحياة، ونتعرف على أساليب متميزة من الأداء الفني، ومن طرق التخيل والرمز، "وإنه بالنظر إلى الفن المعاصر في معظم اتجاهاته المذهبية، يعتمد على الرمز والايحاء، حيث يكون الإيجاز في التعبير والتبسيط في الأداء، إلا أن الأمر هنا يتطلب من الفنان التقدمي أن يكون العمل الفني -علي أي صورة من الصور- بعيدا كل البعد عن تلك الأعمال التي لا شكل لها ولا موضوع؛ لأن ذلك من شأنه أن تتلاشى معه تلك الفكرة الهادفة، حيث يقتضي الأداء من الفنان أن يرتفع إلى مستوى الفكرة الرامزة، حتى تستطيع أن تعطي تلك الشحنة الإيحائية، وحتى يمكن أن تكون هناك استجابة لهذا الإيحاء"(٦).

وفي دراسة أميرة حسن فهمي محمد شكري (٢٠٠٠م) بعنوان: الفرادة التشكيلية للتعبير عن المرأة عند بيكاسو والإفادة منها في التصوير، ويقوم هذا البحث على التعرف على الأبعاد التشكيلية الفريدة لبيكاسو عند التعبير عن المرأة في أعماله التصويرية، وذلك بهدف الإفادة من المعالجات التشكيلية للتعبير عن شكل المرأة عند بيكاسو في إنجاز أعمال تصويرية حديثة، ومن خلال تحليل مختارات من أعماله المعبرة عن شكل المرأة للتعرف على أسلوبه التجريدي وأفكاره الفلسفية التي اعتمد عليها في تناوله لشكل المرأة بالتعبير حيث لجأ إلى أساليب مختلفة في تناوله لها، كما حملها قيما تعبيرية من خلال إسلوبه التكعيبي يعكس من خلالها حالته النفسية وآراؤه في قضايا المرأة والمجتمع بصفة عامة.

وفي دراسةٍ نهى عبد المعطي سلطان (٢٠١٤م) بعنوان: المرأة في التشكيل المعاصر فكريا وبصريا، تطرقت الباحثة لدراسة المذاهب الفلسفية التي ناقشت الفكر النسوي وأبرز الفلاسفة الذين تناولوا قضايا المرأة بشكل خاص كمدخل للبحث، وما كان لها من تأثير على رسم المرأة للفنان، كما وناقشت أبرز الاتجاهات الفنية المعاصرة التي تناولت المرأة كرمز، وأبرز الفنانين التشكليني الذين تناولوها وكان عنصرا أساسيا في أعمالهم.

وأجرى الباحث محمود علي محمود علوان (٢٠٢٠م)، دراسة بعنوان: استحداث مشغولات خشبية قائمة على البعد الرمزي للمرأة في الفن التشكيلي الفلسطيني، وقد تضمنت الفن التشكيلي ودوره في المجتمع، تناول (عملية الاتصال ودور العمل الفني فيها)، وتناول (قضايا المجتمع ودور الفن)، وتناول (الفن والسياسة)، كما وتضمنت مفهوم الرمز الفني، والتعريفات التي تناولت الرمز الفني، وفلسفته وخصائصه، وعلاقته بالثقافة والمجتمع والموضوع الفني، والرمز في الفن التشكيلي المعاصر، والدلالات الرمزية في الفن التشكيلي الفلسطيني، وتناول (صورة المرأة كرمز في الفن التشكيلي

الفلسطيني)، وتناول دلالات الجسد في الفن التشكيلي، والفنان التشكيلي الفلسطيني وعلاقته بالرمز الفني، كما وتطرق إلى البعد التعبيري لصورة المرأة في الفن التشكيلي، وتناول تجسيد المرأة في الفن التشكيلي الفلسطيني ودلالاته. وتضمنت دراسة تحليلية لمختارات من الأعمال الفنية التشكيلية الفلسطينية التي تتخذ المرأة كرمز تشكيلي.

وهذا ما قد لاحظته الباحثة كغيرها من المهتمين بالحركة التشكيلية أن الرمز كان له دورا بارزا في المحتوى التعبيري للفنان، وقد تجسد التعبير عن العديد من المعاني في شكل المرأة، حيث تناولها كل فنان تبعا لأسلوبه وخبراته وثقافته نحو قضية ما، فمنذ "بداية الخليقة ونشأة الجمال الكامن في المرأه نشأ الفن كإنعكاس طبيعي له، وكأداة لتسجيد هذا الجمال، فنجد معظم الفنانين التشكيليين كانوا يهتمون في أعمالهم بتجسيد المرأة، وبالتالي أصبح للمرأة دورا كبيرا داخل الفن التشكيلي"(١٩)، وهذا ما يؤكد أنه منذ بداية ونشأة الفن التشكيلي كان للمرأة تأثير كبير وواضح في أعمال العديد من الفنانين بمختلف مدارسهم واتجاهاتهم الفنية، فالتصوير المعاصر في تعبيره عن الواقع الراهن سعى إلى استلهام قيمة الرمزية والتعبيرية في أحيان برموز ودلالات متنوعة.

• مشكلة البحث:

من خلال البحث والاطلاع وجدت الباحثة أنه هناك العديد من الفنانين التشكيليين قد تناولوا المرأة كرمز فني في أعمالهم الفنية في مختلف مجالات الفن التشكيلي، حيث لاحظت أن معظمهم إن لم يكن جميهم قد عبروا عنها من بمدلول رمزي يحمل العديد من الأبعاد الاجتماعية والتشكيلية بجانب ذلك المدلول الرمزي لها، كما لاحظت ندرة تناول عنصر المرأة بالدراسة في مجال فن التصوير المعاصر، مما دفعها نحو محاولة الإفادة من تلك الأبعاد الرمزية للمرأة بهدف التعبير عن الهوية الوطنية في فن التصوير المعاصر، مما يجعلنا نحتفظ بالهوية التي هي أساس التميز والتنوع والاختلافات بين الشعوب فالموروثات البيئية والثقافية بمختلف أشكالها ومضامينها المادية لما لها أهمية خاصة وملموسة في النهوض بالحياة الفكرية والفنية والإبداع والابتكار في مختلف الشعوب، ومن هنا جاءت فكرة البحث الحالي.

وعلى هذا تتلخص مشكلة البحث في تناول عنصر المرأة في أعمال الفنانين التشكيليين، البعد الرمزي للمرأة كمدخل للتعبير عن الهوية الوطنية في فن التصوير المعاصر، بأسلوب تعبيري رمزي، وتتحدد مشكلة الدراسة في التساؤل الآتي:

ما إمكانية الاستفادة من تناول البعد الرمزي للمرأة في الفن التشكيلي كمدخل رمزي كمدخل للتعبير عن الهوية الوطنية في فن التصوير المعاصر؟

- **فروض البحث:**

تفترض الباحثة أنه:

- يمكن استحداث أعمال تصويرية معاصر من خلال تناول عنصر المرأة في الفن التشكيلي.
- يمكن الوصول إلى صيغ فنية تشكيلية من خلال دراسة البعد الرمزي في تناول المرأة في الفن التشكيلي.

- **أهداف البحث:**

- الوقوف على أهم الاتجاهات التشكيلية للفنانين كمدخل للتعبير في مجال التصوير المعاصر.
- استحداث أعمال تصويرية قائمة على البعد الرمزي، من خلال تناول الأبعاد الفكرية لتناول المرأة في الفن التشكيلي.

- **أهمية البحث:**

- الاهتمام وتنمية الوعي الثقافي بدور الفن التشكيلي في تأصيل الهوية.
- التأكيد على الحفاظ على الهوية والموروث الثقافي في الدراسة الحالية من خلال أعمال فنانين معاصرين.

- **حدود البحث:**

- تناول مختارات من أعمال فنانين معاصرين تناولوا المرأة عبر أعمالهم الفنية.
- عمل أعمال تصويرية مستلهمة من شكل وهيئة المرأة في الفن التشكيلي، بأسلوب رمزي.
- تطبيقات ذاتية تجريها الباحثة باستخدام برنامج سكنر أرت وبرنامج (photoshop ps).

- **منهجية البحث:**

- **أولاً: الإطار النظري:**

يقوم البحث في إطاره النظري على المنهج الوصفي التحليلي، وذلك من خلال الآتي:

- المحور الأول: يتناول (الرمز في الفن التشكيلي).
- المحور الثاني: يتناول (الدلالات الرمزية للمرأة في الفن).
- المحور الثالث: تحليل لمختارات من أعمال فنانين تناولوا المرأة كرمز.

- **ثانياً: الإطار التطبيقي:**

ويعتمد البحث في إطاره التطبيقي على المنهج التجربي، وذلك من خلال الآتي:

- أعمال تصويرية معاصرة تعتمد على الأسلوب التعبيري الرمزي للمرأة.
- تطبيقات عملية تقوم على الإفادة من الفلسفة الفنية التشكيلية في أعمال الفنانين.

- استعمال أقمشة مختلفة، وبرنامج سكنر أرت وبرنامج (photoshop ps).

• مصطلحات البحث:

- الهوية: هو مصطلح مشتق من الضمير (هو)، والهوية فاعل من (هوى)، و(هوية) الإنسان حقيقته المطلقة وصفاته الجوهرية، والهوية الوطنية معالمها وخصائصها المميزة وأصالتها"(٤).
- رمزي (Symbolic): يقصد بالرمز أنه "تمثيل لشيء أو لفكرة، أو معنى، بوجود محسوس، ومن خلال الفن يتحول العالم إلى رموز، بعد أن يعيد الفنان صياغة الواقع فيجسده رمزيا في عمله الفني وفقا لرؤيته"(١٥).

ويوضح البسيوني مفهوم الرمز "بالكيان الكلي المجمل للشكل بصرف النظر عن مدى قربه أو بعده من الطبيعة، فالرمز تجسيد لفكرة أو انفعال، وقد يكون الرمز قريبا من الطبيعة الظاهرة، وقد يكون بعيدا عنها، وقد يكون هندسيا أو مجرد مستخلص موجز ومبسط لعنصر تولد نتيجة الاختراع"(١).

وترى الباحثة أن الرمز الفني عند الفنان التشكيلي جزءاً لا يتجزأ من العمل الفني وهو يعتبر إحدى الوسائط التشكيلية التي يستخدمها الفنان للتعبير الفني للإيحاء بقيم بصرية وجمالية، محمله بالهوية والأحداث المعاشة بصورة بصرية مختصرة، وهو يمثل الشيء، ويعبر عن المعني من خلاله ويرمز إليه.... وهو أسلوب تعبيري وجداني للفنان يجسد من خلاله فكره وانفعاله بأسلوب مختصر ومبسط.

• المحور الأول: الرمز في الفن التشكيلي:

تشكل العملية الإبداعية الأساس الفاعل في حقل الفن التشكيلي، حيث تعتبر البنية الإبداعية هي عملية تكثيف بصري لتحولات فكرية وثقافية متعددة، فاللوحة التشكيلية تبدأ بالآيقونية ثم تتحول إلى الرمز من خلال تجاوز صورة الواقع، ويعتبر الإبداع هو " إنتاج شيء جديد أو صياغة عناصر موجودة بصورة جديدة في أحد المجالات كالعلوم والفنون والآداب"(١٣). وهذا ما يتيح للفنان إيجاد لغة تركيبية مبتكرة يعطي فيها رؤية فنية إبداعية، وذلك بهدف "الكشف عن اللاشعور لدى الفنان، وترى أنه عن طريق الفن يستطيع الإنسان أن يصل إلى عالم أحلامه وأماله، وهكذا تعتمد الرمزية على استبطان مشاعر الفنان والتعبير عنها بغض النظر عن الالتزام بحقيقة الموضوع الخارجي لأن الفن في المحل الأول هو التعبير الشخصي عما يجول في خيال ووجدان الفنان"(٨).

وتعبر الرموز ضرورة حتمية للتفاهم بين مختلف أفراد المجتمع في كافة المجالات، سواء كانت في الفن أو الدين أو العلم، واللغة المنطوقة والمكتوبة من أهم وسائل التعبير التي اتخذت طابعا مميزا للإنسان إلا أنها ليست الرموز الوحيدة المستخدمة في عمليات التفاهم بين الأفراد، فإلى جانبها توجد وسائل أخرى مختصرة وسهلة كالرسوم والصور والإرشادات والتماثيل

(١) محمود البسيوني: ١٩٩٣م، إبداع الفن وتذوقه، دار المعارف، القاهرة، ص٣٤.

والاحتفالات والشعائر وما إلى ذلك، "فالرمز يتغلغل في الحياة وبدونه يصبح الاتصال بشتى الأشمال ضربا من المحال، وذلك لأن الحالات الإدراكية والوجدانية التي تطرأ على الفرد هي حالات كامنة في داخله تتمثل في صور ذهنية أو خلجات داخلية يعبر عنها صاحبها في صور مرئية ومسموعة، فكيف يكون ذلك بدون رمز والذي يشمل شتى ظواهر النشاط الإنساني ويميز الكائن الحي البشري عن كافة الكائنات الأخرى بسمو قدرته في مجال الإنتقاء والتميز"(٢).

وقد عرفت الرموز طريقها إلى مختلف أشكال التعبير الفني عبر العصور التاريخية المتعاقبة، حيث عمل الإنسان منذ أن بدأ يسكن الكهوف على تسجيل أفكاره ومعتقداته ورؤيته الخاصة بالكون وبالظواهر الطبيعية المحيطة به، وذلك في شكل من التمثيل الرمزي لتلك الأحداث والوقائع التي تحيط به، بما أعطى الرمز أهمية منذ قديم الزمن. " أصبح من الأهمية دراسة معناه والفلسفة العقائدية التي دفعت الإنسان الفنان لإنتاجه ففي الفن المصري القديم اكتسب الرمز مكوناته من عقائد وتصورات المصري القديم حول نشأة الخليقة ونظام الكون والطبيعة وفكرة البعث بعد الموت، واستطاع بذلك أن ينتج أعمالا تحمل تعبيرات عميقة بأبسط الأشكال المعروفة لديه، وامتزجت الأشكال الأدمية مع الأشكال الحيوانية، كما أصبح للنبات والأشجار أشكال تعارف عليها كمعان مرتبطة بأساطيره وحكاياته"(٢).

• المحور الثاني: الدلالات الرمزية للمرأة في الفن:

إن الجسد الإنساني يعتبر بمثابة لغة فنية بصرية ذات مفردات وعناصر وقيم جمالية وتشكيلية خاصة منذ قديم الأزل، حيث ظهر الجسد على جدران الكهوف في العصر الحجري، وفي عصور أخرى متعددة، حيث كان يعتبر لغة بصرية تعبيرية سهلة تتناسب مع مختلف الحضارات الإنسانية، وحتى وقتنا هذا فإن قيمة الجسد الإنساني كلغة للتعبير عن المضمون الإنساني والاجتماعي أصبحت لغة للعديد من الفنانين بمختلف توجهاتهم وأساليبهم الفنية. ويذكر في ذلك الصدد: "أن دلالات الجسد في عالم الفن واسعة عصية على الحصر تمتد من حدود بنيته المادية إلى كل أبعاد علاقته بالعالم والناس والأشياء، كما أن العلاقة بين الجسد والثقافة بمجملها معقدة وجدلية تمتد في حدود كل الطروحات الفكرية والاجتماعية الإنسانية، فاذا كان الجسد محوريا في الحياة فهو محوري في الفن بالضرورة كذلك، وتطوره الدلالي صاحب خط التطور العام للغة الفنية فتمكن من التبلور من خلال التحولات الفنية الكبرى التي صاحبت التغيرات الفكرية والاجتماعية للحضارات الإنسانية حيث أمكن للإنسان الارتفاع بمستوى فعالياته الجسدية إلى مستوى الأنظمة التواصلية التي يمكن إرسالها واستلامها"(١٤).

وقد شغلت صورة المرأة مكانة مميزة عبر مختلف الحضارات وعلى مر العصور المتعاقبة، حيث كانت المرأة رمزا للأمومة منذ بدء الخليقة، وقد تنوعت نظرة مختلف المجتمعات تجاه موضوع المرأة على اختلاف كل مجتمع، وقد سجل القرآن الكريم هذه الصفة للمرأة على اعتبارها صفة جمالية رفيعة، فقال تعالى في وصف الحور العين في الجنة: (... وعندهم قاصرات الطرف عين)"(١١). كما "وقد ترك لنا الإنسان البدائي كثيرا من الرسوم على الكهوف والمنحوتات التي تمثل المرأة، وقد صب كل اهتمامه في إبراز خصائصها الأنثوية .. وأجمع المؤرخون على أن هذه الخصائص كانت مزيجا عاطفيا جسديا، ومدلولا عقائديا سحريا في الوقت ذاته"(٥).

إن صورة المرأة كعنصر فني هو أحد منابع الإلهام ومصدر لجذب الفنانين والأدباء لما له من قدرات فنية وبصرية وتشكيلية مؤثرة تستوجب الكشف عنها، وكثيرون هم الشعراء والأدباء الذين وجدوا في المرأة حافزا من أهم حوافز الإبداع الفني. "ويرى توفيق الحكيم (أني إذ أتكلم عن الفن –لا يسعني إلا إن أعترف مرغما إن المرأة هي روح الفن، ولو لم توجد المرأة على هذه الأرض فربما وجد العلم، لكن المحقق أنه ما كان يوجد الفن، ذلك إن الإلهام الفني هو نفسه قد خلق على صورة امرأة، وأن لكل لون من ألوان الفن عروسا هي التي تنثر إزهاره على الناس ... ما من فنان على هذه الأرض أبدع شيئا إلا في ظل المرأة)"(١٠).

إن للمرأة حضورها الواضح في عمل الفنان وإبداعه الذي يعكس برمزية العديد من المعاني والدلالات كالحياة والطبيعة والأرض والخصوبة والجمال والمحبة...، فهي تتميز بالعديد من الصفات المتنوعة التي تمتزج مع الفكرة الفنية التي تحدد الجانب الجمالي المطروح فيها، أما عبر تاريخ الفنون فإن حضور جسد المرأة جوهريا في العديد من الحضارات، فهو مصدر إلهام وإغراء للفنانين على مر التاريخ، فجسم المرأة بكل ما يحمل من مفاتن وقيم جمالية كان وما زال مبعثا للعديد من الفنانين بمختلف المجالات لتحقيق الإبداع الفني، وقد كان مبعثاً للتناول الجريء عند البعض حيث تناولوه صريحا عاريا بتفاصيله في النحت أو التصوير، وآخرون جرده ليحرره من قيود مفهوم الجسد ليصبح آداه أو مصدر إلهام يحمل قيما جمالية في ذاته.

حيث "احتلت صورة المرأة مكانةٍ مميزة في الفنون التشكيلية على مر العصور، فكانت المرأة وما زالت رمزا لأمومة البشرية منذ بداية الخليقة، وعبر هذا التاريخ الطويل تنوعت نظرة المجتمعات المختلفة في شتى بقاع الأرض حيال المرأة، فمنها من قدر دورها في الحياة فبجلها واحترمها، واعترف بحقوقها، ومنهم من نكس مكانتها وحط من شأنها، وسلبها حقوقها المشروعة، وكذلك من نظر إليها نظرة قاصرة لا تعترف بقدرتها وفكرها وعقلها. وبما إن الفن مرآة للمجتمع فقد عبرت الفنون المختلفة عن تلك الرؤى المتنوعة للمرأة بأشكال وأساليب عديدة بداية من العصور البدائية السحيقة وحتى عصرنا هذا"(٩) .

كما وتعد المرأة عند الفنان بيكاسو بمثابة نقطة انطلاق يقدم من خلالها أساليبه، وتعبيراته، واتجاهاته الفنية المتعددة، والتي تتغير وتتطور عبر مراحله الفنية المختلفة ويذكر أنه "وجد بيكاسو في شكل المرأة مجالا لخلق شخصيته الفنية المتميزة، وهكذا تبدوا غاية الفن تنحصر .. في خلق الجماليات المتميزة بعالمها الخاص، من خلال وسيط من الوسائط الشكلية، على أساس أنه لا ينبغي مقارنة عالم الفن وتجربتهِ الجمالية، بعالم الموضوعات الطبيعية، فالمرأة عند بيكاسو تعد وسيطا شكليا يفجر من خلاله طاقاته الإبداعية ويقدم من خلاله ابتكاراته المتفردة في مجال التصوير"(٣).

ولم يكن لبيكاسو منطق محدد في تناوله لصورة المرأة عبر العديد من أعماله الفنية ولكنه أوجد لنفسه أسلوبا إبداعيا خاصا به معتمدا في ذلك على إيجاز خبراته البصرية في تلك الصورة دون الرجوع للواقع، فشكل المرأة لديه قد فقد صلته بالطبيعة والواقع وخرجت منه أشكال جديدة داخل عالمه الخاص، معتمدا على خبراته الفنية والتشكيلية، ولغته الخاصة المتفردة، حيث تناول بيكاسو المرأة عبر العديد من أعماله الفنية، كما في شكل (١)، (٢)، ذات الأسلوب التكعيبي وبأساليب فنية أخرى.

شكل (١)
بيكاسو، تكعيبية ١٩٣٢م
امراة جالسة (ماري تيريز)

شكل (٢)
بيكاسو، تكعيبية ١٩٣٧م
فتاة قبل المرآة (Girl Before A Mirror)"(٢٠)

- **المحور الثالث: تحليل لمختارات من أعمال فنانين تناولوا المرأة كرمز:**

وترى الباحثة أنه كان للمرأة تأثير واضح في أعمال العديد من الفنانين وخاصة في القرن العشرين ومن خلال تتبع تاريخ الفن عبر فترات مختلفة نجد أن المرأة ظهرت بمعان ورموز مختلفة، وقدمت من خلالها موضوعات متعددة تبعا لذاتية الفنان، وخلفيته المعرفية مع ما توصل إليه من خبرة ومهارة، بهدف إيجاد صورة فنية تعكس الواقع المحدد بزمان ومكان معين من خلال صورة الأنثى، لذا تعتبر المرأة أداة تعبير فاعلة داخل العمل الفني كخلاصة ناتجة عن انصهار بين الصورة الذهنية للفنان وثقافة الواقع، ولذلك رأينا كثيرا من الفنانين العالميين يستلهمون المرأة في إبداعاتهم الفنية .. ولما كان المحور الرئيسي في دراسة هذا البحث يدور حول تناول عنصر المرأة في أعمال بعض الفنانين التشكيليين، كمدخل للتعبير عن الهوية الوطنية في فن التصوير المعاصر بأسلوب رمزي، فقد حاولت الباحثة الإحاطة والتعمق الأكثر اتساعاً بموضوع البحث، والتمثيل الشامل للجوانب المختلفة للموضوع أن تتناول عددا مناسبا من المصورين من خلال ذلك المحور كالتالي:

شكل (٣)
(رقصة) ١٩٨٠م

شكل (٤)
(ذكريات من القصر الأحمر) ١٩٧٩م

الفنان الكويتي (عبد الرسول سلمان)

حظيت أعمال الفنان الكويتي (عبد الرسول سلمان) بتناول عنصر المرأة عبر العديد من أعماله الفنية، ويذكر أنه "مولع بالمرأة وحركات الجسم واليدين، يتغزل بعمله الفني لأنه يؤمن بأن المرأة هي الوجه الآخر للرجل، مكملة مسيرة الحياة، أما نزعته التشكيلية في الفن نزعة متغيرة وفق العامل

الوقتي والمناخي، فهو يتغير تارة إلى أنه قد عاش القرون الماضية، وتارة كأنه يحلم بعالم لم يكن، فهو قد أغني أعماله الفنية بمتابعته الثقافية، فهو قارئ وناقد ومتابع بشكل جدي للحركة التشكيلية في الوطن العربي"(١٢). حيث تعددت وتنوعت صورة المرأة في أعمال الفنان، كما في لوحة بعنوان (رقصة)، فإننا نجدها تارة بزيها الكويتي وزخارفه المحملة بالتراث والهوية الوطنية، والتي تعبر عن الحرف والصناعات الشعبية الكويتية، وكناية بالأرض والوطن والهوية، كما في شكل (٣)، وتارة أخرى في لوحة (ذكريات من القصر الأحمر)، وهي قديمة منطقة بالكويت نراها محملة بمفردات من التراث الكويتي المتمثل في الباب الخشبي القديم، كرمز للكويت كما في شكل (٤).

كما وتناولت الفنانة الكويتية (ثريا البقصمي) المرأة في العديد من أعمالها الفنية بأسلوبها المعتمد على الخيال، وفي صياغات أسطورية متنوعة، حيث تظهر المرأة المجنحة والتي ترمز خلالها الفنانة للانطلاق والحرية ونشر الخير بالعالم، كما في شكل (٥) الذي تظهر به مجموعة من النساء المجنحات، بجسم طير ورأس امرأة تلبس الخمار الخليجي وجسم الطائر المزخرف، ومحاطين بمفردات أخرى ونجوم أشبه بالحلم، وخلفية زرقاء، وشكل (٦) لامرأة تطير في الفضاء.

شكل (٥)

شكل (٦)

الفنانة الكويتية (ثريا البقصمي)"(٢٢)

كما وتناولت الفنانة الكويتية (عطارد الثاقب) موضوع المرأة المحملة بالتراث الكويتي عبر العديد من لوحاتها التصويرية، حيث أدخلت المرأة كرمز بطريقة عفوية جميلة، كما في شكل (٧)، حيث عالجت المساحات داخل اللوحة بأسلوب زخرفي، كما واستعانت بعناصر من العمارة الإسلامية القديمة والخط العربي، حيث أرادت الفنانة من خلال اللوحة التأكيد على الهوية الوطنية الكويتية، وأرادت الفنان من خلال تلك اللوحة التعبير عن مناسبة شعبية كويتية وهي (قرقيعان) حيث تظهر البنت الكبيرة وهي تغني والأصغر تنظر نحوها في محاولة لتقليدها بالغناء.

كما وفي شكل (٨) لوحة أخرى لفنانة بعنوان (رقصة السامري)، التي تعتبر من الفلكلور الشعبي الكويتي، حيث أظهرت الفنانة المرأة وهي ترقص رقصة السامري التراثية الكويتية، كما أظهرت عنصر الحركة بالرسم من خلال المعالجات المختلفة باستخدام الألوان والخطوط الدائرية والتقسيمات المختلفة في اللوحة والتي أوحت بالألحان، واستخدمت الفنانة العديد من الألوان في الخلفية تعبيرا عن الفرح والسرور.

شكل (٧)
عطارد الثاقب (رقصة السامري)

شكل (٨)
عطارد الثاقب (قرقيعان)
الفنانة الكويتية (عطارد الثاقب)"(٢١)

والمتتبع لأعمال الفنان الفلسطيني (عبد الرحمن المزين) الذي يتميز بالأسلوب الواقعي الرمزي في تناول الموضوعات الفنية، والذي تناول المرأة عبر العديد من أعماله، وهي تلبس زيها الشعبي المزخرف بوحدات التطريز المختلفة ذات الألوان المتناسبة، مع الاهتمام الشديد بالتفاصيل معتمدا على الموروث الشعبي الفلسطيني " فهو يصور كبرياء وشموخ المرأة الفلسطينية وهي ترتدي زيها الشعبي بمطرزاته المتنوعة ليؤدي من خلالها هدفا سياسيا معبرا عن قضيته وعن وطنه من خلال صورة المرأة، ويتميز المزين بأن عملية الإبداع عنده تتنامى في لغة شاعرية ذات حس تصاعدي، عنصرها موتيف المرأة –على الأغلب– وما يميزها أنها على الدوام تتزين باللباس التقليدي الفلسطيني، كاشفا عن جماليات الثوب (الزي)، والنظرة التأملية الهادئة المرسومة على وجه المرأة الفلسطينية"(١٧)، والمحملة بالقيم والمعاني التراثية الفلسطينية. كما في شكل (٩)،(١٠).

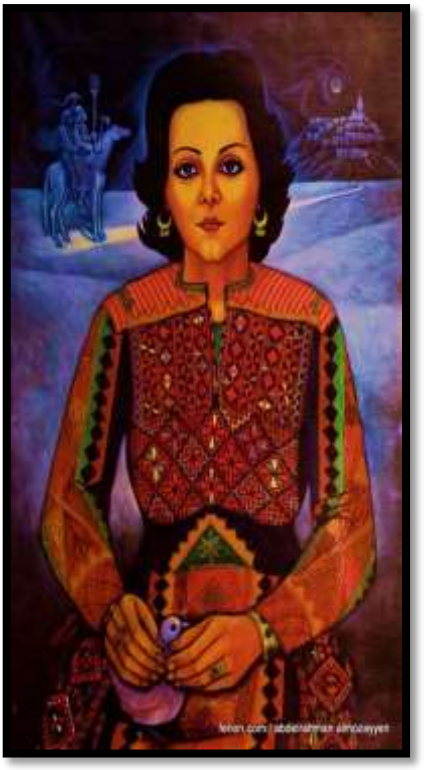

شكل (٩)

شكل (١٠)

الفنان الفلسطيني (عبد الرحمن المزين)"(١٧)

كما جسد الفنان الفلسطيني (إسماعيل شموط) القضية الفلسطينية بريشته وألوانه وصور النكبة بمآسيها في أعماله، حيث عبر من خلال فلسفتهٍ الخاصة عن رفضه للواقع الفلسطيني تحت الاحتلال، وقد لعب الخيال دورا هاما في أسلوب وفلسفة الفنان، ورسم أحلام وطموح شعبه بأسلوب واقعي تعبيري رمزي، ومن نبع الأدوات الفنية النابعة من حياة شعبه وتراثه ونضاله "بدأ الفنان إسماعيل شمٍوط مسيرته الفنية وبحثه الدؤوب عن صيغ ومعادلٍات جديدة، مستفيدا من حركة وتطور الفٍن التشكيلي العالمي، وظل محتكا (على الدوام) بالحياة الفلسٍطينٍية راصدا ظواهرها الاجتماعية التي تنتج عن تفاعلات ملتصقة التصاقا تاما بالحياة والوجود والنضال"(١٧).

حيث تظهر المرأة بزيها الفلسطيني المطرز وبعلاقتها مع الطفل أحياناً وكتعبير عن علاقة أمومة خاصة عامة، تشبه علاقة الطفل بالأم وعلاقة الإنسان الفلسطيني بالأرض، كما في شكل (١١). وفي لوحات أخرى تتخذ المرأة صورة المقاومة للاحتلال وهي تقف مقاومة إلى جانب زوجها. كما في شكل (١٢).

شكل (١١)

شكل (١٢)

الفنان الفلسطيني (إسماعيل شموط)"(١٧)

وتناول الفنان البحريني (عمر الراشد) موضوع المرأة عبر العديد من لوحاته ذات الأسلوب التجريدي الرمزي، معبرا عن حركة الحياة والتطور الاجتماعي وروح الجمال وقيم المحبة، حيث حقق الفنان من خلال صورة المرأة أسلوبه الخاص وطابعه المميز وجمع بين قوة التكوين وعمق المعاني وبساطة التعبير وشاعرية الإيقاع الخطي واللوني. كما في شكل (١٣)، (١٤).

شكل (١٣)

شكل (١٤)

الفنان البحريني (عمر الراشد)"(١٨)

- **ثانياً: الإطار التطبيقي:**
- **أولاً: المنطلق الفكري للتجربة:**

ويرتكز هذا المنطلق الى تحديد المداخل الفنية والفلسفية والمتمثل في موضوع (البعد الرمزي للمرأة)، كمدخل ومنطلق كمدخل للتعبير عن الهوية الوطنية في فن التصوير المعاصر.

- **ثانياً: المنطلق التشكيلي للتجربة**

بتنفيذ تجربة ذاتية استكشافية للباحثة يتضح من خلالها استخدام البعد الرمزي للمرأة في لوحات تصويرية تعبر عن الهوية الوطنية الكويتية وذلك باستخدام برنامج سكنر أرت وبرنامج (photoshop ps)، ويتم تطبيق أربعة أعمال فنية.

- **التطبيق الأول:**

عمل فني بعنوان (ليلة الحناء) وهو يعبر عن التراث الشعبي المتمثل بمناسبة اجتماعية وهي ليلة حناء العروسة، واستعانت الفنانة بصورة المرأة كرمز للهوية الكويتية إلى جانب مفردات أخرى متنوعة كالعملات والاقمشة المزخرفة المتنوعة.

شكل (١٥) التطبيق الاول (ليلة الحناء) ١٠٠X٧٠- ٢٠٢١م
اقمشة مختلفة، سكنر ارت وبرنامج (photoshop ps)

- **التطبيق الثاني:**

عبرت الفنانة من خلال العمل الفني عن الموروث الشعبي (رقصة السامري) بالاستعانة بصورة المرأة بثوبها كرمز ودلاله عن الهوية الكويتية، وأضافت بالخلفية عدة أقمشة شعبية مطرزة ومزخرفة خاصة بالحفلات والمناسبات قديما.

شكل (١٦) التطبيق الثاني (رقصة السامري) ٧٠x١٠٠- ٢٠٢١م
أقمشة مختلفة، سكنر آرت وبرنامج (photoshop ps)

- **التطبيق الثالث:**

تناولت الفنانة من خلال العمل الفني بعنوان (حديث الصحراء) المرأة بثوبها كرمز ودلاله عن الهوية الكويتية، واستعملت عدة أنواع من الاقمشة ذات التأثيرات المختلفة منها الحديث ومنها القديم ذات الزخارف الهندسية والنباتية المتنوعة.

شكل (١٧) التطبيق الثالث (حديث الصحراء) ٧٠X١٠٠- ٢٠٢١م
اقمشة مختلفة، سكنر ارت وبرنامج (photoshop ps)

- **التطبيق الرابع:**

عبرت الفنانة عن الهوية الكويتية من خلال صورة المرأة (البدوية) واستعانت بعناصر من البيئة الكويتية كالصحراء والأبل والصقر وأضافت القماش المزخرف بخلفية العمل والذي كان مميزا بين نساء البدو، وتظهر المرأة بثوبها وهي تشع بنورها على الصحراء الكويتية.

شكل (١٨) التطبيق الرابع (البدوية) ٧٠x١٠٠- ٢٠٢١م
اقمشة مختلفة، سكنر ارت وبرنامج (photoshop ps)

• النتائج والتوصيات

• أولاً: النتائج:

- أمكن التوصل إلى مداخل فنية وتشكيلية متنوعة من خلال دراسة البعد الرمزي للمرأة في الفن التشكيلي.
- أمكن التوصل لحلول فنية وتشكيلية متنوعة من خلال استخدام برنامج سكنر أرت وبرنامج (photoشop ps).
- إن للفن التشكيلي دورا بارزا ومؤثرا في تأكيد وتأصيل الهوية الوطنية للشعوب.
- ان للهوية الوطنية الفاعلية المؤثرة في شكل العديد من الموضوعات الفنية.
- ان دراسة التجارب الفنية للفنانين من المداخل الهامة في الفن التشكيلي المعاصر.
- إن من خلال التخيل الإبداعي يمكن الوصول إلى حلول فنية مبتكرة.
- إن الفنان في صياغته لرموزه يخضع لمؤثرات ثقافية وفكرية نابعة من واقعة وتراثه.
- إن للفن دور هام في التأكيد على دور الفن في تأصيل وتأكيد الهوية للمجتمعات.

• ثانياً: التوصيات:

- ضرورة الاهتمام بالإنتاج الفني التشكيلي للحفاظ على الهوية والتراث الوطني.
- توجيه الاهتمام نحو الفنون التشكيلية كونها أهم وسائل التعبير وأوسعها انتشارا.
- يجب على الفنان التشكيلي التعرف على التقنيات الفنية الجديدة والاستفادة منها.
- ضرورة ارتباط الفنان بهويته وتراثه في التعبير عن موضوعاته الفنية بفكر وأسلوب جديد ومعاصر.
- توجيه البحث والدراسة نحو حصر وتصنيف أهم الاتجاهات والأساليب الفنية المعاصرة، كمرجع وتوثيق للحركة الفنية العربية.

• مصادر البحث:

- أحمد محمد السيد إمام: ٢٠٠٣م، تعدد الدلالات الرمزية في التصوير الحديث كمصدر لاستلهام إبداعات فنية معاصرة، رسالة ماجستير، كلية التربية الفنية، جامعة حلوان. ص١٨
- أميرة إمام طه متولي: ٢٠٠٠م، صياغة الرمز في التصميم كمدخل لتدريس الملصق الإعلاني، رسالة ماجستير، كلية التربية النوعية، جامعة القاهرة. ص١٠٠-١٠١. ص٩٦.
- أميرة حسن فهمي محمد شكري: ٢٠٠٠م، الفرادة التشكيلية للتعبير عن المرأة عند بيكاسو والافادة منها في التصوير، رسالة ماجستير، كلية التربية الفنية، جامعة حلوان. ص٢٧-٢٨
- المعجم الوجيز: ١٩٩٧م، مجمع اللغة العربية، القاهرة. ص٦٥٤.

- جمال قطب: الملهمات في الفن والتاريخ، مكتبة مصر، القاهرة. ص٣.
- حسن محمد حسن: ١٩٧٢، الأسس التاريخية للفن التشكيلي المعاصر، ج٢، دار الفكر العربي. ص٢٩٨.
- دلدار فلمز: ٢٠١١م، تاريخ الرسم، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق. ص٩٥.
- راوية عبد المنعم عباس: ١٩٩٨م، الحس الجمالي وتاريخ الفن (دراسة في القيم الجمالية والفنية)، ط١، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت. ص٣٤٧.
- رنده محمد فخري: ٢٠٠٤م، تصوير المرأة في الفن المصري الحديث، رسالة ماجستير، كلية الفنون الجميلة، جامعة حلوان. ص١.
- رياض عوض: ١٩٩٤م، مقدمات في فلسفة الفن، ط١، لبنان. ص٩٣-٩٤.
- صالح أحمد الشامي: ١٩٨٨م، ميادين الجمال في الظاهرة الجمالية في الإسلام، الطبيعة-الانسان-الفن. ص٢٠٢.
- عبد الرسول سلمان: ٢٠١٢م، عبد الرسول سلمان، الناشر الكاتب، الكويت. ص١٠.
- فتحي عبد الرحمن جروان: ٢٠٠٣م، الإبداع، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الأردن. ص٢٠.
- كامل عبد الحسين خضير النداوي: ٢٠٠٥م، دلالات الجسد في الرسم الحديث، رسالة دكتوراه، كلية الفنون الجميلة، جامعة بابل، العراق. ص٢.
- محسن محمد عطية: ٢٠٠٤م، اكتشاف الجمال في الفن والطبيعة، دار الكتاب المصرية.
- محمود البسيوني: ١٩٩٣م، إبداع الفن وتذوقه، دار المعارف، القاهرة. ص٩٣.
- محمود علي محمود علوان: ٢٠٢٠م، ستحداث مشغولات خشبية قائمة على البعد الرمزي للمرأة في الفن التشكيلي الفلسطيني، رسالة دكتوراه، كلية التربية الفنية، جامعة حلوان. ص١٣٨-١٣٧-١٣٤-١٣٣.
- مجلة التشكيلي، العدد الثاني-فبراير ٢٠٠٦م، ص٥٥.
- نهى عبد المعطي سلطان: ٢٠١٤م، المرأة في التشكيل المعاصر فكرياً وبصرياً، رسالة دكتوراه، كلية الفنون الجميلة، جامعة الإسكندرية. ص٥٢.
- www.albdel.com.
- www.alraimedia.com
- www.aljarida.com